ثقافة

متابعة

من عرض «السقف» (العربي الجديد)

لا تتساءل الفنانة الفلسطينية إن كانت غزّة ستتغيَّر عليها حين تعود، أو إن كانت إقامتها في ألمانيا قد غيَّرت معنى البيت بالنسبة لها، تطلب ممن يحضر عرضها أن يبنَي بيته الخاصّ، ويشاركها شعور أن يراه مُدمّراً لا غير

هند أبو حسنين صوتٌ يصرّ على سرد الحكاية

مِن مدينة عليها كلّ الأعين

فرانكفورت ـ **يزن التميمي**

ما البيت بالنسبة لك؟ وماذا تحتاج كي تشعر بأنّك فيه؟ هذان هما السؤالان اللذان طرحتهما الفنانة الغزّية هند أبو حسنين في عرضها المسرحي الأخير «السقف»، الذي عرض مؤخّراً في مسرح «موسون تورم» بمدينة فرانكفورت الألمانية، بمشاركة الفنانة الإيرانية يگانه شفيعي.

طلبت هند، التي جاءت إلى فرانكفورت قبل أسابيع من بدء العدوان الإسرائيلي على غزّة، من جمهورها أن يستعملوا الأثاث والمعدّات الموجودة داخل قاعة العرض لبناء مساحات خاصّة بهم، يجلسون فيها أثناء العرض، بحيث تكون مساحة خاصة تناسب كل واحد منهم والمجموعة التي أتوا معها، ليكونوا بكامل أريحيّتهم أثناء العرض. بدأ الحضور ببناء «بيوت» صغيرة، استعملوا الوسائد والبطانيات والشرائط اللاصقة وأدوات الرسم والكراسي وغيرها ثم جلسوا فرادى أو مجتمعين. جهَّز بعضهم الديكور وزيّن «بيته» الصغير، بينما اكتفى آخرون برسم حدود تكفي أجسادهم وجلسوا أو استلقوا داخلها. بعد أن اطمأنَّ كلّ إنسان لبيته، بدأت الفنانتان سرد القصة. بدأت يگانه شفيعي تحكي عن ذكريات بيت طفولتها. تحدّثت عن بيت صغير كانت تبنيه داخل غرفتها حين تريد أن تبتعد عن صخب المنزل وتجلس وحدها في مكانٍ خاصٍّ بها، وأنّها اليوم، ومع مرور عامين تقريباً على وجودها في ألمانيا، لا تزال -كلَّما ازداد عليها شعور الوحدة والغربة- تذهب بخيالها إلى تلك البقعة الآمنة. وأكبر هاجس لها اليوم أن تعود بعد غيبتها هذه إلى طهران، ويكون الشعور الطفولي بالانتماء والراحة قد زال، فتكون خسرت بيتاً في الوطن دون أن تستطيع أن تجد بيتاً في الغربة.

أما هند أبو حسنين التي اضطرّت لتمديد إقامتها الفنية إلى أجل غير مسمّى، بسبب استمرار حرب الإبادة في غزّة، فالمكان الذي تعود إليه لتشعر بالألفة مجدداً هو بيت عائلتها صباح يوم الجمعة. تسرد هند، على طريقة الحكواتي، طرائف اشتعال البيت بالطاقة والنشاط لإتمام صباح الجمعة على أتمّ وجه، وكيف يتناوب الرجال على الحمام لتطبيق سنة اغتسال يوم الجمعة، بينما تتجمّع النساء والفتيات في المطبخ لبدء التخطيط والإعداد لغداء يوم الجمعة المشهود، الذي تجتمع فيه الأسرة كلّها. تعود هند بذاكرتها إلى أيام جمع كثيرة قضتها مع أسرتها في مدينة غزّة، وتلملم تفاصيل كثيرة تشكّل بها حكاية متكاملة لجو من الألفة، تُعود إليه وتأخذ معها جمهورها ليشعروا بالانتماء والراحة.

تحدّثت عن غرفتها الواسعة وجدرانها الطويلة، التي ولسبب ما فضّلت أن تدهن واحداً منها باللون الأصفر، وكيف كانت تأوي إليها بعد صخب صباح الجمعة، وتستريح العصرية تقرأ وتتأمل جدار الغرفة الأصفر؛ هذا الجدار بالذات الذي اخترقته في الأسابيع الأولى للحرب قذيفة إسرائيلية فتّتته إلى أجزاء وذهبت بما تبقى من الشقة، بينما نجت الأسرة التي نزحت قبلها بأيام.

لا تتساءل هند اليوم إن كانت غزّة وبيت أسرتها سيتغيّران عليها حين تعود، لا تتساءل إن كانت إقامتها في ألمانيا قد غيّرت معنى البيت والألفة بالنسبة إليها، فالجواب أنّ البيت قد ذهب إلى الأبد، وغزّة مغطاة بالرماد والحطام.

هند أبو حسنين الفنانة المسرحية من غزّة، الحاصلة على بكالوريوس الفنون الجميلة من «جامعة الأقصى»، قبل التحاقها بـ«معهد يوم المسرح للإنتاج»، تنوّع نشاطها الفنّي في غزّة بين الإخراج والتمثيل المسرحي، بالإضافة إلى مساهمتها في إحياء فنّ الحكواتي الذي استعملته في عرضها الأخير في مدينة فرانكفورت.

اضطرت إلى الإقامة في هذه المدينة الألمانية بعد أن تعسّر عليها السفر إلى غزّة مع بدء العدوان الوحشي على القطاع وأهله. في حديثها مع «العربي الجديد» تُخبرنا عن كيف كان وقع الحرب عليها أكبر من كل الحروب السابقة، بسبب ابتعادها المكاني، علماً أنها شهدت كل الحروب السابقة في غزّة مع والديها وأسرة أخيها. تقول: «ضميري يؤنّبني طيلة الوقت لأني أعيش في مكان آمن، بينما هم يواجهون إبادة جماعية لم يكن أحد يتخيل أن تستمر إلى هذه اللحظة». أمّا عن وضعها النفسي في الشهور الثلاثة الأولى للعدوان فقد كان صعباً جداً، لكنها تمكنت من أن تتمالك نفسها وتخلق طاقة تنشط بها. تقول لـ«العربي الجديد»: «بدأت أتجادل مع ذاتي، وأصبحت أفكّر بإيجابية أكبر بأنّ صوتي مسموعٌ هنا، ولا بدَّ أن أنشر تجربتي من خلال عملي، أنا من تلك المدينة التي عليها كلّ الأعين، أريد أن أبقى صامدة، وأن أروي القصص التي تعودت أن أرويها في بلدي؛ قصص السيدات المناضلات، وكانت هذه الخطوة الأولى».

> أي عرض باسمها قد يُعرِّض المسرح للمساءلة القانونية

لا تزال هند تحاول اكتشاف البيئة الفنية الجديدة التي وجدت نفسها فيها دون إرادتها، فمثلاً في نهاية العرض طلبت الفنانتان من الحضور أن يسردوا قصصاً مشابهة، وأن يحكوا تجاربهم عن البيت، أو أن يطرحوا أفكاراً حوله، لكن لم تأت سوى تعليقات قصيرة من هنا وهناك، بينما حاولت الفنانة استنطاق جمهورها بأكثر من طريقة، وهي مشكلة تعاني منها في ألمانيا. تقول: «كانت صدمة بالبداية، الثقافة هنا غريبة، الجمهور لا يتفاعل كثيراً ويشعرك هذا بالإحباط، ولكن أنا مصرّة على خلق جو آخر، ونشر ثقافة أخرى مع الجمهور». لا تزال العروض التي تقوم بها الفنانة الفلسطينية محدودة بنوع الحضور وعدده، وذلك لأن إجراءات استصدار أوراقها الثبوتية من دائرة الأجانب لم تتمّ بعد، لهذا كان الجمهور في كلتا الورشتين من الأصدقاء والمسؤولين عن المكان فحسب، كما أن الإعلان عن عرضها باستخدام اسمها قد يعرض المسرح للمساءلة القانونية.

أما عن سؤال طبيعة بيئة العمل والإنتاج الفني في مناخ قد يُوصف بأنه معادٍ للسردية الفلسطينية، فضّلت الفنانة عدم التعليق، لكنها أكّدت طبيعتها الاجتماعية، وأنها تستطيع الإعلان عن وجودها بطريقتها الخاصّة؛ الأمر الذي جعل تجاربها الأولى جيدة، وجعلها تكوّن الكثير من الصداقات من النشطاء والفنانين الذين تعرّفت إليهم ويساعدونها ويحضرون العروض الخاصة التي قامت بها، لكنهم كذلك ينصحونها بطبيعة الموضوعات التي تعمل عليها وتعرضها للجمهور، خصوصاً خلال هذه الفترة، وأن تتحرك في منطقة آمنة.

تصرّ أبو حسنين على أن الوقت لا يزال مبكراً للحكم على تجربتها في العمل داخل ألمانيا، وتتطلّع للبدء بتحضير عروض مفتوحة للجميع، تستوعب حضوراً أوسع وأكثر تنوّعاً، لتكون صوتاً جديداً من أصوات غزّة، التي تصرّ على سرد الحكاية.

معرض

الكمالات الثلاثة امتزاج الشعر والخط والرسم

فنون اليابان في ألف عام

يجمع المعرض مئة وستين عملاً تُبرز قوة وتعقيد أشكال الفنون الثلاثة، إضافة إلى مخطوطات معلّقة مع لوحات ونقوش تشير إلى ثقافات شرق آسيا

نيويورك ـ **العربي الجديد**

بورتريه للشاعر والرسام يوسا بوسون (1716-1783)، حبر ولون على ورق (من المعرض)

تشير الأساطير الصينية إلى أن كلاً من دو فو ومعه لي باي، اللذين عاشا في القرن الثامن الميلادي، كانا أوّل شاعرين يمزجان الرسم والشعر في عملٍ فني واحد، تمّ اعتماده كتقليد راسخ في جميع ثقافات شرق آسيا بعد عقودٍ عدّة، وأصبحت تدرّس معاً في الأكاديميات والمدارس القديمة. يجمع معرض «الكمالات الثلاثة: الشعر الياباني والخط والرسم» الذي يفتتح مساء السبت، العاشر من الشهر الجاري، في «متحف المتروبوليتان للفنون» بنيويورك، أكثر من مئة وستين عملاً تم إنشاؤها جميعاً في اليابان على مدار ما يقرب من ألف عام، والتي تبرز قوة وتعقيد أشكال الفن الثلاثة، وهي جزءٌ من مجموعة «ماري وتشيني كاولز»، التي يقتنيها المتحف. ويتوقّف المنظّمون عند سمات ممارسةٍ كانت تتطلّب سنوات طويلة من التعلّم، الذي يستند إلى أن هذه الفنون هي من أرقى وسائل التعبير عن الذات، حيث كان يُنظر إلى الرسم بأنه شعرٌ صامت، وبأن الشعر رسمٌ صامت، لا يمكن إظهارهما إلّا من خلال «فن الكتابة اليدوية» المتمثّل بالخط. في هذه الكمالات الثلاثة، لم يكن يتساوى الرسم والخط مع الشعر، والذي يقوم على الفكر والتأمّل، بل يمكن اعتباره الفن النقي والجوهري في اليابان القديمة الذي يحاكي الثقافة الصينية، والتي بدأت منذ القرن الثاني عشر بتطوير تعبيرات مركّبة تستدعي الحواس جميعها، لكنه يمكن القول إنّ قيمة الرسم كانت ترتقي بجوار النص الشعريّ، وينسحب الأمر كذلك على الخطّ الذي يُكتب به.

يتضمّن المعرض شاشاتٍ قابلة للطيّ مع قصائد مرسومة على ورق مزخّرف فاخر، يحتوي كتابات بخط رهبان الزن في كيوتو خلال العصور الوسطى. والزن بوصفها فلسفة وعقيدة تعني التأمّل والاستغراق في التفكير، ارتبطت بشكل وثيق بتاريخ الكتابة الشعرية في اليابان، وغيرها من البلدان الآسيوية، وصولاً إلى ظهور شعر الهايكو في القرن السابع عشر.

> اعتقدت الفلسفات اليابانية بأنّ الكتابة والرسم مرتبطان بالطبيعة نفسها

من بين النماذج المعروضة، بورتريه للشاعر والرسام الياباني يوسا بوسون (1716-1783)، الذي يعدّ من أبرز شعراء الهايكو في فترة إيدو (التي شهدت ازدهاراً للثقافة والعديد من الفنون)، حيث كان يؤمن أنّ الشعر المثالي هو قول اللغة المألوفة، ضمن ما كتبه من قصائد قصيرة اشتملت على تراكيب بسيطة لكن ليس من السهل تقليدها.

ويضمّ المعرض أيضاً مجموعة من المخطوطات المعلّقة مع اللوحات والنقوش التي تشير إلى الكلاسيكيات الأدبية الصينية واليابانية، والخزف الذي يصوّر جلسات الشاي؛ أحد الطقوس المتوارثة في الثقافة اليابانية، وتبيّن كيف أنَّ الشعر والرسم والخط تجتمع لدى النخبة التي كانت تحصل على وظائف عالية، وتكتسب امتيازات عديدة بسبب إتقانها الفنون الثلاثة مجتمعة. كما يُعرض عملان لراهبي الزن موسو سوسيكي (1275-1351) وبايساو (1675-1763)، وهما مكتوبان بالكامل بالأحرف الصينية (كانجي)، باستخدام تقنية الفرشاة الجافّة وخطّ غليظ وجريء في تشكيلاته، ويجسّدان المثل الأعلى للزن المتمثّل في تجاوز الأعراف والقواعد لتحقيق التنوير الروحي.

في جميع الأعمال المعروضة، يركّز أصحابها على ائتلاف عناصر عديدة، منها: الإيقاع والتناغم والملمس والطاقة الروحية، حيث تضمّنت الفلسفات اليابانية الاعتقاد بأنَّ الكتابة والرسم مرتبطان بالطبيعة نفسها، التي تتدفق منها الطاقة عبر الفرشاة إلى جسد الإنسان ومن ثم الحبر.

إضاءة

عند تخوم الحرّية والذاكرة والموت

وليد دقّة نصوص في تأكيد معنى الحياة

يقرأ الباحث عبد الرحيم الشيخ، في العدد الأخير من «مجلّة الدراسات الفلسطينية»، مضامين ثلاثة نصوص من كتابات الشهيد والأسير الفلسطيني المتأخّرة

أنس الأسعد

في الخامس والعشرين من يوليو/ تموز الماضي، رحلت الحاجّة فريدة دقّة، بعد ما يقرب من ثلاثة أشهر ونصف على استشهاد ابنها الأسير والمفكّر والروائي الفلسطيني وليد دقّة (1961 - 2024) في سجون الاحتلال، إثر إصابته بسرطان التليّف النقوي، وبعد ثمانية وثلاثين عاماً وأربعة عشر يوماً على أسره. ثمّ انتشرت لهما صورة قديمة، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تعانق فيها الأمّ ابنها بعينَين دامعتين، وعلامات الرضا تعلو وجه وليد الشابّ حينها. وقبل رحيل الأمّ بأيّام، كانت «مجلّة الدراسات الفلسطينية» قد خصّصت ملفّاً ضمن عددها (139) الصادر حديثاً، أعدّه الباحث والأكاديمي عبد الرحيم الشيخ تحت عنوان «وليد دقّة: كتابات متأخّرة»، استذكاراً للقيادي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وعضو اللجنة المركزية في «التجمّع الوطني الديمقراطي»، والذي ما زال الاحتلال يحتجز جثمانه إلى اليوم.

تستوقفنا في العدد كلمات زوجة الشهيد الفلسطيني، سناء سلامة، التي عنونت مقالها بـ«ميلاد الحلم واستمراره»، وهنا نقف أمام ثلاث نساء من ثلاثة أجيال مختلفة: فريدة وسناء وميلاد التي وُلدت من نطفة مُحرَّرة في الناصرة عام 2020. لكلّ واحدة منهنّ حكاية مديدة في مقارعة الاحتلال، لقد عبرنَ إلى الواقع مع وليد وحاذَين مسيرته النضالية. تكتب سلامة: «كلّ شيء انتزعناه من الدنيا انتزاعاً، فأصبح لكلّ شيء معنى خاص، ولكلّ فترة مررنا بها حكاية تُروى، نرويها لأنفسنا وللناس، ودُرَّة الحكايات هي ميلاد، ومع أنّنا، ميلاد وأنا، سنُكمل هذه الحياة غير السَّهلة وحدنا مع طيفك، إلّا أنّك ستبقى معلّمنا الأول، وسنتبع خُطاك وأحلامك».

بالعودة إلى الملفّ، وإلى مقدّمته الضَّافية التي كتبها عبد الرحيم الشيخ حول ثلاثة نصوص لدقّة («صمت القبور»، و«حكاية سر الطيف»، و«ما بعد صهر الوعي»)، أو الكتابات المتأخّرة التي دُوّنت بين 2003 و2023، نجد الشيخ يتحدّث عن «الجغرافيا السابعة» التي يسكنها وليد دقّة، فهو ما زال أسيراً حتى بعد استشهاده. أسيرٌ لا في الزنزانة هذه المرّة، بل في «ثلّاجة» المشروع الاستعماري الذي يحتجز جثمانه، أمّا الجغرافيات الستّ المتبقّية فيتوزّعها الفلسطينيون بين: القدس، والضفّة الغربية، وقطاع غزّة، وفلسطين 1948، والشتات، والسجون. لنتخيّل، هُنا، ومن باب المجاز طبعاً، أنّ وليد دقّة احتفظ بسيرته هي هي لكنّه لم يكُن فلسطينياً، ولنتصوّر كيف كانت أُمّته أو وطنه ليتعاملا مع هذا المفكّر الشهيد، وأي رمز أممي كان سيصير. النصّ الأول «صمت القبور» نصّ روائي كُتِب على وَقْع سنوات «انتفاضة الأقصى»، ومع تواتر العمليات الاستشهادية في تلك المرحلة، استعار أبو ميلاد أجواءها ليروي سجالاً بين استشهادي فلسطيني وبين خمسة مستوطنين قُتلوا في تلك العملية، يطلبون منه إيصال رسالتين إلى قريب لهم، ويطلب منهم إيصال رسالة إلى عائلته.

يقرأ الشيخ «صمت القبور» من خلال كتابات دقّة البحثية التي كتبها في تلك الفترة، حيث رصد فيها أبو ميلاد «التحوّلات التي ألزمت الحركة الوطنية الفلسطينية بالعودة إلى العنف الثوري، وتفعيل خيار الكفاح المُسلَّح»، مثل «يوميات المقاومة في جنين»، البحث الذي اشتمل على 60 مقابلة مع فدائيّين من مختلف مناطق فلسطين، ويخلُص إلى أنّ دقّة «انتقد المغالطات المقصودة في مساواة النضال الفلسطيني بالإرهاب العالمي، والتحريض السياسي، وتبرير جرائم الاحتلال، وتركَّز نقدُه على الدور الاستشراقي المتواطئ الذي تمثّله الأكاديميا في خدمة أجهزة الأمن».

ثم ينتقل الشيخ إلى النص الثاني في الملفّ، «حكاية سرّ الطيف: الشهداء يعودون إلى رام الله» (2019 - 2021)، وهو نصّ مسرحي أُنجز في العام الأول بعد ميلاد بـ«سجن جلبوع».

> أسيرٌ لا في الزنزانة بل في «ثلّاجة» المشروع الاستعماري

ويُصوِّر مُسارَرة بين ثلاثة من الأسرى الشهداء المحتجزة جثامينهم في ثلّاجات العدوّ، وهُم: أنيس دولة، وبسام السايح، وكمال أبو وعر الذي تتمحور المسرحية حول استشهاده واحتجاز جثمانه والتقائه بمَن سبقوه. وتُشكّل «حكاية سرّ الطيف» الضلع الثالث من ثلاثية اليافعين بعد «حكاية سرّ الزيت» (2017)، و«حكاية سرّ السيف» (2018)، وكان دقّة قد أملى ما أمكنه من مَشاهدها، هاتفياً، على عبد الرحيم الشيخ الذي يرى في هذه التجربة الحكائية المسرحية «رحماً لمفهمة الحرّية والذاكرة والموت».

أمّا النص الثالث الذي يقرأه أستاذ الفلسفة والدراسات الثقافية في «جامعة بيرزيت»، فهو «الكابو: ما بعد صهر الوعي، ملهى الإغراء والإغواء» (2022 - 2023). و«الكابو» لفظة تعني السجين الموظَّف الذي يعمل لصالح إدارة السجن ضدّ السجناء. ويُصوّر هذا النص الفكري تحوّلات أنظمة الرقابة والإخضاع والسيطرة في السجون الصهيونية بالتوازي مع تحوّلات السلطة الفلسطينية، و«العصبة الاستزلامية» على أعيُن سياسيّين خضعوا لآليات «راقب نفسك بنفسك»، متجاوزين مقدار التنسيق الأمني الذي نصّ عليه «اتفاق أوسلو»، الأمر الذي حوّل أقلّية «الكابو» إلى أكثرية من «المتعاونين».

سيُقال ويُكتب كثيراً حول سيرة وليد دقّة لا شكّ في ذلك، لكن لو أردنا الإيجاز والتخصيص حول هذه النصوص الثلاثة التي قدّمها وعرض لها الشيخ، فإنّها أشبه ما تكون بـ«الفاتحات»، وأقرب إلى «الأسلوب المتأخّر» الذي ختم به إدوارد سعيد مسيرته الفكرية مُشدّداً عليه؛ التأخّر على النقيض تماماً من «النهاية والموت»، «التأخّر هو فكرة البقاء على قيد الحياة فيما يتعدّى المقبول».

سناء سلامة وميلاد وليد دقّة في مسيرة العودة، شفاعمرو، 14 أيار/ مايو 2024 (Getty)

إطلالة

الأدب والجوائز: ما العمل؟

سومر شحادة

بدأتُ أصل إلى قناعة مع كلّ إعلان لجائزة أو نتائج جائزة، وكلُّ ما هو مرتبط بفكرة الجائزة الأدبية بالمبدأ؛ أنَّ الكثير من المهتمين بالأدب، ولو اهتماماً مفترضاً، مثل صحافي ثقافي أو ناقد أو كاتب أو روائي.. إلخ، يقتصر حضورهم وتفاعلهم في عالم الأدب على لحظات إعلان الجائزة، ثمَّ يعودون إلى غيبتهم. لكن طوال العام، في الأيام العادية، وفي المواقع التي يشغلونها، والصحف التي يعملون بها، أو في صفحاتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، لا نعرف إن كانوا يقرؤون، وإن كان لديهم رأيٌ في الرواية العربية، عدا الهجوم أو الاحتفاء بالجوائز؟

الله أعلم. نحن الجمهور في مدرجاتهم لا نتلقَّى منهم سِوى لحظات الظهور القليلة وهم يتراشقون الاتهامات والآراء، فيهاجمون أو يحتفون بجائزة أدبية وقت الإعلان عنها. بوضوح، ليس موضوع المقال أيُّ جائزة، وإنَّما ذلك النوع من الكاتب، أو المثقّف، أو الصحافي الثقافي الذي تقتصر فاعليّته على إثارة الضجيج حيال قيمة الجائزة وموقفه من الجائزة الذي غالباً ما يكون موقفاً مركزيّاً.

والمركزية التي أقصدها بالتحديد هي الأنا المتضخّمة التي لا تقبل نصاً فائزاً إلّا نصّه، ويمكن أن يتنازل ويقبل نصّ صديقه ضمن دائرة العلاقات التي يسعى دائماً إلى جعلها تنمو وتتسع، وتصبح خدمات متبادلة.

هؤلاء كُثر، وهم ظاهرةٌ، وبعضهم متحكّم وصاحب قرار في المشهد الأدبي ببلده. قد يبدو أنَّ المقال يعتمد في بنائه على أحدهم. ولكن حقيقة الحال أنه ليس في ذهني اسم بذاته، إنَّما الجو العام من التهالك في البلدان التي صارت ردماً وتذكارات وسيلاً من الحسرة. وكأنَّما هؤلاء نيامٌ، فإنْ أعلن أحدهم عن جائزة، استيقظوا، ثمَّ سرعان ما عادوا إلى نومهم...

لكن عوض السُّبات الذي تمضون فيه، لماذا لا تحدّثونا عن الكتب التي تقرؤونها؟ لماذا لا تقترحون لقرَّائكم، أو في منابركم، اسماً جديداً، أو رواية جديدة، أو حتى صوتاً جديداً؟ كيف تمضون وقتكم بين جائزة وثانية؟ في الحقيقة هناك أمرٌ صار ممجوجاً ومملاً لكثرة تكراره، وهو تلك السلبية المفرطة التي تكتفي بإلقاء اللوم على الآخرين، أو التنظير عليهم.

ثمَّ إنَّه لأمرٌ مؤسف أن نجد انتشار الكتاب مقتصراً على صوره بين أصدقاء الكاتب، من غير أن يتطوَّع الصديق كي يخبرنا موضوعه، وماذا أضاف له، وما الحكاية الإنسانية التي شعر بأنّها لمسته؟ إنَّه لأمرٌ مؤسف أن تكتفي صفحات الكتّاب والروائيين والنّقاد والصحافيين - وهي بالآلاف - بالتهجم أو الاحتفاء بالجوائز، مع غياب يكاد يكون محققاً وعميماً لدورهم في خدمة الأدب كما يريدون أن يوهمونا.

عهد القول بغياب النّقاد المدرسيين الذين يضعون نصاً في سياقه ضمن ثقافته، وفي موقعه ضمن نوعه الأدبي، وما الإضافات التي يقترحها لشكله الأدبي. وهذا قولٌ محق، إلّا أنَّه قاصرٌ عن طبيعة العصر الذي نحنُ فيه. كما أنَّ البلدان العربية مقسومة إلى قسمين؛ إما بلدان فقيرة لا يملك مواطنوها ثمن الكتاب، ولديهم الوفرة من الوقت للقراءة، أو بلدان غنية يستطيع مواطنوها شراء الكتب، إلا أنَّهم لا يملكون الوقت للقراءة، فسوق العمل تستهلكهم... إذاً، ما العمل؟

أخالُ أنَّه سؤال أكبر من أن يختصر بالهجوم على جائزة، أو الاحتفاء بجائزة، وهو سؤال أمام حشد متضخمي الأنا الذين يقصرون فاعليتهم الوظيفية في عالم الأدب على لحظة ظهور الجوائز. حتَّى يكاد المرء يتوقّع مشاركتهم في أعراس الضجيج، ويتوقّع أقوالهم. وكأنَّما يكاد يقول لهم «عاش مين سمع هالصوت» عوض التعليق الجديّ على منشوراتهم عن جائزة ما. دعوا التراشق المرير جانباً، ماذا تقترحون، وماذا تقرؤون هذه الأيام؟

(روائي من سورية)

فعاليات

تقيم الممثّلة المسرحية والمغنّية المصرية **نسمة محجوب** حفلاً موسيقياً عند الثامنة والنصف من مساء يوم غدٍ الجمعة، على خشبة مسرح سيد درويش، في «دار الأوبرا المصرية» بالإسكندرية. قدّمت الفنانة العديد من الأعمال المسرحية، بالإضافة إلى إصدار ألبومات عدّة، مثل: «الحلو ماله»، و«بستغرب»، و«يا طيور».

حتى مساء بعد غدٍ السبت، يتواصل في كلية الفنون الجميلة بـ«الجامعة الأردنية» بعمّان، **ملتقى الفن التشكيلي** ضمن فعاليات «مهرجان جرش للثقافة والفنون». من بين الفنانين المشاركين: **محمد عبلة** من مصر، و**خالد بكاي** من المغرب، و**محمد بن حمودة** من تونس، و**مراد عبد اللاوي** من الجزائر، و**غازي انعيم** و**خيري حرز الله** من الأردن.

تقدّم فرقة **سداسية مكرم أبو الحسن** عند التاسعة من مساء الثلاثاء المقبل في «مترو المدينة»، بالعاصمة اللبنانية، حفلاً يتضمّن مقطوعات جاز جديدة للفرقة، التي تتألف من **توماس هورنيغ** و**نضال أبو سمرا** (ساكسفون)، و**شربل صوما** (باص الكتروني)، و**بافلو ورديني** و**عبدو صوما** (إيقاع)، إضافة أبو الحسن (باص مزدوج).

حتى الثالث عشر من أكتوبر/ تشرين الأول المقبل، يتواصل في «متحف شيرن كونستال» بمدينة فرانكفورت الألمانية، معرض **مدرسة الدار البيضاء: منصات وأنماط الحركة الطليعية لمرحلة ما بعد الاستعمار 1962 - 1987**، الذي افتتح بداية الشهر الماضي. يسلط المعرض الضوء على موجة الحداثة الفنية التي نشأت بعد استقلال المغرب.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

محمد أبو كويك كاتب مسرحي

مونولوغ شخصي

في زمننا الأهوج، تعتقدون أنّي أقف أمامكم لأسرد لكم ما يجري حولنا، فأحصد العدد الأكبر من المتابعين ويغمروني بإعجابهم! لا..
حياتنا اللاعادلة المليئة بالقصص اللامعقولة أرويها لكم، وهي التي أجبرتني على المثول بينكم خاضعاً لمشاعر مؤلمة،
لن أتوقع منكم أن تكونوا تنتظرون عنصر المفاجأة!! فماذا ستسمعون؟ ماذا ستسمعون من شخص فقَد أحباباً في هذه الحرب المجنونة الصعلوكة، وغادرته قطعٌ من قلبه نحو الغربة عن الوطن.
لا أدري هل أبدو متوتراً أم أنتم المتوترون بسبب ما ستسمعون، وأرى في عيونكم تلك النظرات التي تقول: إنه مشروع شهيد.. إنه يقف على المسرح، وفي النهاية سيموت.
فهل أبالغ حين أخبركم، ليتكم تشترون تذكرةً لحضور فيلمٍ من الخيال العلمي، وسوف تصدّقون.
لن أروي لكم قصة بطلٍ مغوار، فكلّ من سأتحدّث عنهم هم منَ الأبطال، بل هم الكابوس لعدوٍ يشبه دراكولا؛ مصاص الدماء. إياكم والأعتقاد أنني أحتفظ لنفسي ببعض المواقف الغريبة... لا. لست من هؤلاء، بل أنا أمامكم أتفجّر كفوهة بركان ترمي الحمم، فهل أنا برميل ديناميت ينفجر على مبنى تحصّنت فيه الأم وأولادها والأب، يحاولون أن يجدوا منفذاً لنجاتهم، غير أن العائلة تتحول لأشلاء ممزقة، ويأتي قريبهم ليجمعهم وهو يصرخ كطفلٍ صغير، يجمعهم متهالكاً من هول ما رأى، فلا شيء أكثر وجعاً من أن تجمّع أعضاء متناثرة لجثث موتى الحرب، جمعهم في كيس واحد، لكم أن تتخيّلوا في كيس واحد جميعاً مع أحلامهم وطموحهم.
لا تقل لي ليس من الطبيعي دفنهم بهذا الشكل اللاإنساني، فكلّ شيء أصبح غير طبيعي وغير إنساني، في هذا الوقت، لبشرية أخلاقها مشوّهة. لا تطلبوا أن أروي قصتي وكأنها قصة قبل النوم، فتطلبوا مني أن أبتعد عن التشنجات العصبية.
إياكم! دعوني أكمل، فأنا مقهورٌ، مسحوق.

■■■

قبل هذه الحرب المجنونة، كنتُ أعتقد أنني كبرت وبدأت أفهم كلّ شيء ولكنني تيقنت أنني لم أعد أستوعب شيئاً.
إليكم القصة الأهم، أبدأ بأمي، أنا في الثالثة والخمسين من عمري ولكنني أحتاج دوماً لحضن أمي حتى وإن كانت كبيرة في السابعة والتسعين من عمرها، ولكنني كلما سمعت صوت زنانة لعينة، كان قلبي يرتعش علي أمي، فأغمرها بنظراتي الحزينة خوف أن يصيبها المرض أو الموت، وأكره حتي خيالي حين يصور لي أشياء أخافها عن رحيلها. وأقترب منها، ولكنني مخادع فأنا من يريد أن يختبئ من أهوال الحرب في حضنها الحنون، وهي تدعو الله أن ينصرنا، هل تفهمونني؟
أمّي هي وحدها سر عدم فقداني للأمل بانتهاء هذه الحرب الرعناء.
كنت ألقي على مسامعها النكات والضحكات، ولكن لو نظرتم في عيوني وتجولتم في خاطري، ستتيقنون أنني لا أخبركم بكلّ ما تريدون سماعه، لأنني باختصار لا أقول لكم إنني أرتعش، وإن تعمقتم في عيوني ستجدون فيها دموعاً تحجرت ترفض أن تبوح بكلّ شيء.
انظروا في عيوني، وربما يمكنكم الوصول لأعماق أعماق ما أشعر به، وربما تعرفونه، وربما ما مررتم به هو أشد قسوةً مما مررت به أنا.
ذهب كل شيء ولم أعد أنا أنا.
عيوني صحراء قاحلة وشخص لم يعد هو. نعم، فأنا بينكم ما زلتُ لكنني شبحٌ لشخص لم أعد أعرفه، لا هو ولا هويته ولا زمانه ولا مكانه. اقتلعته من الحرب الغبية لأني أرفض أن يعيش هو داخلي فقد ذهب كل شيء وبقي هو! فليذهب للبعيد، ربما البعيد الهادئ الآمن بتفاصيل دقيقة لا يمكن تجاهل كم أحتاجها.

■■■

كانت المدينة بعواصفها الرعدية والحنين والموسيقى تدعو للسلام، فجاء التتار وقتلوا السلام.
وبما أنني أنا هنا لأسرد لكم القصص فإليكم قصة أخرى:
قالت لي زوجتي: فلنرحل فاذا لم يهجم علينا الموت فإن المجرم سيضع الملح على جراحنا، ويجبر مسامنا على أن تستنشق غبار الردم، الذي أنهى كل ما هو حولنا حتى تاريخنا.
أجبتها: الحرب ليست للنساء سأتركك تنجين وأبقي أنا مع موتى الحرب.
جعلتها وأبنائي ينجون، فأنا ما زلت أسمع أنين ابن أختي الشهيد وزوجته الشهيدة، أسمعهم وهم يحتضرون حين باغتهم المحتل وقتلهم بدم بارد، وهم يحملون الراية البيضاء تعلّقاً بالحياة لينجوا طفلهم المعاق، الذي أصابته شظية فاضطروا لاقتلاع عينه بلا مخدر، فالمستشفيات لا يوجد فيها ما يخفف قسوة الألم، وبقي ابنهم وابنتهم يتيمين، ولم يكتفِ المجرم بل عاد وحرق بيتهم.
نعم. صرختُ بزوجتي وأبنائي: ارحلوا بعيداً عن مدينة الموت والجثث والدمار، وجراح وإصابات بليغة قاتلة تركتهم يرحلون وقضيت أيامي أدفن الجثث من حولي وأتقيأ طوال الوقت.
فما رأيته يفوق قوة تحمّلي البشرية.
أراكم تريدون المزيد.. حسناً
أبي.. هل تعلمون من هو؟ أريد أن أخبركم أنه رحَل عن دنيانا منذ زمنٍ بعيد، ولكنه حضر معي هذه الحرب الدموية، نعم كان معي وشهِد الحرب أيضاً معي.
قال لي يوما: كن رجلاً وقم بعمل الأشياء التي لا تحب أن تعملها، وإن كانت خطيرةً ومؤلمة ومخيفة وبل ومجنونة، فأنت ولدت وتعيش مع سموم المحتل. وستمر بحالات من اللاوعي، فأنت لن ترى ما رأيته أنا ابن النكبة، في عام 1948، حين أباد المحتل نصف سكان مدينتنا، وهجّر الآخرين تحت تهديد السلاح قسراً، وذبح من احتموا داخل مسجد «دهمش» في مدينة اللد. ولكن أتعلمون شيئاً؟ إنني أتحدّث لأبي كثيراً، خاصة حين لا أنام أياماً وأياما. قلت له مراراً: عُد يا أبي لترى الرجل الذي بكى على مدينتك وأرضك، التي اغتصبوها، عُد لتراه يرى الموت في كل يوم وفي كل لحظة في مدينة اللجوء. وكم وكم من مرة نزحنا نحمل نكبتنا وهلعنا. الشهداء رحلوا إلى السماء وبقيت أنا أموت آلاف المرات في اليوم.
(لحظة صمت)

■■■

الآن أنا بلا صوت، فالفظائع التي رأيتها جعلتني بلا صوت، والآن أوجّه أحرفي الى عدو مجرم يعشق رؤية الدماء والدمار والتعذيب والتنكيل والثكالى ويفجع الأبرياء، عدوّ يقتل ويسرق الضحايا ويدمّر ويذبح المدنيين من النساء والأطفال، أو دعني أخاطب ذلك السياسي أو صاحب القرار، وأنت تشاهد وتتابع الأخبار، مرتدياً معطفاً والشموع المضاءة من حولك وكلبك المدلل من حولك يتناول وجبته، هل لك أن تتخيل أن الطفل الذي فقد قدمه وعينه وأهله وبقي وحيداً يصارع الظلم من حوله، هل لك أن تتخيل أنه ابنك الذي يترجاك أن تتخذ القرار. لا تسلّمه للموت والذل ولا ترمه في عقر الحرب، فلا تكن مع الجاني جانياً مجرماً، فنحن أبناء الحرب نتوق للحب والسلام، نتوق للحياة، نتوق للصهيل فلقد سئمنا النعيق.
وربي هذا ليس عدلاً، فالكون برمّته خاض الكثير من الحروب والصراعات، ولكن ما نعيشه في حرب غزة فاق كلّ قوانين الصعاليك والزناديق.
أعلم أنكم قرأتم المعلقات والشعر والروايات عن الحرب، ولكن دعوني أسرد عليكم من خلال ما يحدث معي يومياً، بكلمات بسيطة أصف لكم جزءاً يسيراً من هذه الكارثة الإنسانية. ربما لا أريد أن أصف لكم الحرب، بقدر ما أريد أن أتعمق في جراح المدينة والناس. أنا أتكلّم، ويستحضرني جميع من كان يسير في هذه الأماكن الحزينة الثكلى العنقاء، وأقف معكم في عدّة محطات لم تعد للاستراحة فقمة وذروة الألم حين تمر بجانب سبيل للماء بناها تاجر تقي قبل مئات السنوات، وجاء العدو ليدمّرها بكبسة زر فتشعر بجفاف في حلقك، وتحلم بماء بارد بل تتمنى قطرة ماء فلعابك جف وشفتاك تشققتا.

■■■

منذ يومين مررت بحديقة جرفتها جرافات المحتل، وتذكرت بركة الماء. كان البط فيها يسبح، ألقيت لها يومًا بحواف سندويشة الزعتر والجبن النابلسي، ألقيتها لبطة جاءت وخلفها أولادها تطعمهم.
سالت دمعتي! فويح قلبي أنظر هنا وهناك علني أجد من ذلك الفتات ما يشبعني، فأنا جائع والحصار يلتف حول معدتي يعتصرها.
وأنا هناك رأيت الناس يهرعون نحو اللامكان والأطفال، يبكون وتلك السيدة التي لم تعد عجوزا أمسكت بسرير المستشفى، الذي كان عليه زوجها المريض المصاب المقعد، وجرّته للشارع فلقد قصفوا المستشفى فإذا بالشباب يساعدوننا، إلى أين يا حاجّة؟ لتجيب: لا مكان! فهذه رابع مرة أنزح فيها، وليس لدي ولد أو بنت، وهنا سقطت القذائف على مدرسة للنازحين وصرخت إنها مدرسة ابني، وأنا أهرول وأصرخ خوفا على فلذة كبدي وروح الروح تذكرتُ أنه تخرج منذ ثلاث سنوات وأنني دفعت له مبلغا كبيرا من المال لسمسارٍ ليهرب للبلد المجاور.
نعم أصبحت مجنونا فالحرب نفسها مجنونة، صعلوكة، غبية، رعناء، وحمقاء وخرقاء وبلهاء.
سمعتهم يقولون اختبئوا، والخوري يقول من هنا دخلت إلى الكنيسة، التي لم تنج من بطش المحتل الظالم، فوجدت نفسي أضيء الشموع وأرتل وأصلي واقفاً خاشعاً فإذا بجارنا ينادي محمد: أين أولادك؟ فتذكرت أنني محمد، ولكنهم سحقوا مساجد مدينتنا وكسروا المآذن، لا فرق سأصلي هنا. أغادر مع أبناء بلدي بانتماءاتنا المختلفة لنبحث عن اللا مكان الآمن في هذا الزمن الغاب.
وجميعنا توجهنا لله الواحد الأحد، الذي خلق هذا الكون، نترجاه أن تنتهي الحرب ويموت الظلم.
وأكملت المسير وأنا أسمع الصراخ والضحكات. عالم متناقض وحرب مجنونة ومررت بخيمة المعلمة دعاء، وهي تعلّم أطفال الحرب الأحرف الهجائية وأحببت أنها لم تلغ حرف الضاد.

هل أبالغ حين أخبركم، ليتكم تشترون تذكرة لحضور فيلم من الخيال العلميّ، وسوف تصدقون

عمل للفنان الفلسطيني محمود الحاج

عز الدين شلح مخرج سينمائي

أكثر من طريقة للموت

في زمن الإبادة ومع الأيام الأولى للحرب على غزّة، إحساس لا يمكن وصفه، أشعر بحالة من التوهان، القلق، التوتّر، الحزن، الألم، صورة ضبابية نعيشها، ومع كل ذلك أدركت بأن هناك أياما قادمة ربما لم يدركها الخيال، سوف تحدث ونعيشها.
ما يشغلني ليس فقط كيف سنعيش باقي أيامنا؟ ولا أنه هل سوف نباد كما يحدث لغيرنا، بل وحتى أنني أشعر أحياناً أن موضوع إبادتنا ما هو إلا مسألة وقت، ولكن في الآن نفسه يوجد شعور قاتل، ربما يستحضر بحكم تخصّصي وانتمائي السينمائي، وإيماني بأهمية السينما في التوثيق والتأثير في الأفراد والجماعات، يراودني دائماً سؤال: من سوف يروي قصصنا؟ من سوف يكتب ويوثق ليكشف عن الوجه البشع للاحتلال.
من سوف ينتج أفلاماً سينمائية يروي من خلالها قصة علاء، محمد، سلمى، أم العبد، الحاج كامل؟ كلُ منهم لديه قصة تصلح لفيلم سينمائي هوليوودي، يمكن له أن يكشف عن جرائم ارتكبت بحق الإنسانية، وأن يغيّر مفاهيم وسلوك المجتمع الدولي.
من سوف يكتب عن ذلك اليوم الذي سمعت فيه قصفاً ليس ببعيد؟ وبعد وقت قليل سمعت صرخات ضج صداها في الحارة؟ في البداية لم أعرف مصدر الصوت، مع أني أعرف الأصوات نفسها، مما زاد من خوفي، وحين خرجت مسرعاً، شاهدت عدداً من الأشخاص يتجمهرون أمام بيت أخي، أسرعت ودخلت البيت، وجدت كلا منهم يصرخ ويبكي من جهة، فقد علموا بالخبر.

■■■

علاء في الثلاثين من عمره وابنه خالد ابن السابعة، تحكمهما بالإضافة لعلاقة الأبوة علاقة صداقة، دائماً علاء يحدثني بأنه سوف يخلق أنموذجاً إيجابياً بين الأب والأبن في العلاقة، يتحدّث مع ابنه رغم صغر سنه وكأنه صديقه، وعادة ما يصطحبه معه في زياراته، ذهبا معاً لزيارة أخيه محمد في بيته، طلب خالد من والده أن يذهب لبيت عمه الثالث أسامة القريب، ليلعب مع أبناء عمه، وبينما خالد في الطريق سمع صوت القصف، استدار خالد ليرى ما يحدث، فشاهد البيت الذي فيه والده وعمه أصبح كومة من الركام، ولم يكن في حينها غيرهما في البيت، استشهد والده علاء ودخل محمد للعناية المركزة، لم يستوعب الجميع غياب علاء. كان فقده موجعاً. كان صاحب نكتة ويسمونه فاكهة البيت، لما يضفي من روح المرح على الجلسة التي يكون فيها.
جميع أبناء أخي الأكبر مني عمراً تربوا معي في البيت نفسه وكبروا وأصبحوا شباباً قبل أن أستقل عن أخي، للدرجة التي يمكن أن أعتمد عليهم أكثر من أبنائي لكونهم أكبر وأوعى، أما محمد فيتعامل بأكثر جدية، ربما بحكم أنه سجين لثماني سنوات، حيث أمضى مرحلة تكوين الشخصية في السجن، وما أن انتهت محكوميته، حتى بدأ أهله بالبحث له عن عروس، تزوج محمد وأنجب طفلة وطفل، غالباً ما يخطط مع زوجته لبيتهما، فتلاحظ أنهما يهتمان كثيراً في ديكور المنزل، وفي ألوان غرفة لولو وغرفة عمر.
المهم أن والديه وحتى إخوته يعتبرون محمد لم يعش زهرة شبابه خارج السجن، لذلك الكل حريص على أن يرضيه بأي ثمن، كما أن محمد وبشكل خاص يتعامل مع والده ووالدته بقدسية أكثر من الطبيعي، لإدراكه لمدى المعاناه التي عاناها والداه خلال زيارته طوال فترة سجنه، ومن هنا جميعهم يطلقون عليه الحنون، ليس فقط على والديه بل على إخوته وأخواته، ولذلك الكل يصلي ليل نهار من أجل أن يشفى ويخرج من العناية المركزة ومن ثم من المستشفى.

■■■

لا أحد يمكن له أن يزور محمد في المستشفى الأوروبي الواقع بين رفح وخانيونس، ليس لأنه في العناية المركزة، بل بسبب خطورة الوضع الأمني، نعرف أخباره من خلال ممرض يسكن على مقربة من بيتنا، الأخبار مطمئنة ويتحسن حسب كلام الممرض، وبعد عشرين يوماً من وجوده في العناية المركزة، جاء ابن أخي الثاني وقال لي إن محمد استشهد وعلينا أن نذهب لنبلغ عمي بذلك، بكيت وحزنت على محمد وازداد حزني على أخي، كيف له أن يتلقى خبر استشهاد ابنه الثاني محمد في أقل من شهر؟
قلت لابن أخي: هل تعتقد أن عمك سوف يتحمل سماع الصعقة الثانية؟ رفضت أن أذهب معه لأخبره، وقلت له اذهب وحدك فأنا أضعف من أن أرى أخي للمرة الثانية ينهار أمامي، وتركته وذهبت للبيت، لكني لم أعرف ماذا أفعل، عشتُ حالة من التناقض، من ناحية لا أريد أن أرى وقع الخبر على أخي، ومن ناحية أخرى يجب أن أكون بجانبه في هذه اللحظات الحرجة، تخيلته وقد انهار من وقع الخبر، خرجت مسرعا لأحتضنه، لألمس رأسه، لأمسح دموعه، لأحاول مواساته.

■■■

إنها ليس حرب إبادة فقط، بل حرب تجويع أيضاً، الكثير من المواد الأساسية غير موجودة، وأهمها الدقيق، وللحصول على ربطة خبز، عليّ أن أنتظر لساعات لدرجة أنني حين استلم ربط الخبز أشعر أنها تعادل في فرحتها لحظات الإعلان عن منح شهادة الدكتوراه، ربما الفارق بينهما أن الأولى، أي استلام ربطة خبز، مغمسة بالدم.
كما أنها حرب التهجير القصري. في إحدى الليالي بينما ابن اختي وزوجته وبناته الأربع المقيمين في مخيم النصيرات يتأهبون للنوم حدث معهم ما يتوقعونه وما لم يتوقعوه. أخبرني ابن أختي: كنا نستمع لصوت القصف البعيد عنا والقريب منا، علينا أن لا نفعل أي شيء سوى أن ننتظر إما أن يقصفونا أو أن يكتب لنا عمر جديد، وهذا حال جميع البيوت التي تحيطها طائرات الاحتلال وتكون قريبة من القصف، طلبت مني ابنتي الأكبر من الصغرى أن آتي إلى مكانها وتأتي هي لمكاني لأنها شعرت بأن مكاني أكثر أماناً، فوافقتها وتبادلنا الأماكن، بعد دقائق قليلة قصف البيت، استشهدت هي والأكبر منها سناً، أصبت في ذراعي وخُرقت زوجتي وابنتي الكبرى، حريق من الدرجة الرابعة، سافرتا على أثرها للعلاج بالخارج، دمرت عائلتي وبيتي، وفوق ذلك كله شعرت بالذنب لأنني وافقت ابنتي على تبديل الأماكن، لا أعرف. يبدو أنها طلبت التبديل لتضحي بنفسها من أجلي، دائما أطلب من روحها أن تسامحني لأني وافقتها على التبديل، بقيت أنا وابنتي الصغرى فقط، ثم بعدها قررت النزوح لرفح. وجاء عندي للبيت حيث أقاموا معي في البيت في رفح حتى اضطررت أن أتركه.
ثم تلقيت اتصالاً لإخلاء بيتي في رفح، وكنت محظوظاً أنني تلقيت اتصالاً، ففي معظم الحالات لا يتلقى الناس تحذيراً بإخلاء بيوتهم ويتم نسف البيت بمن فيه دون تحذير لساكنيه، ويصبح سكان البيت مع الأثاث والحجارة كومة من الركام، تمتزج دماؤهم مع الرمال العميقة التي يقف عليها البيت، وكأنها تشير إلى أننا سوف نعيد تأسيس البيت بدمائنا، تسيل الدماء وتملأ أركان البيت لتكون شاهداً على حجم الجريمة.

■■■

نحن نباد بكل الطرق، على الرغم من إحساسي بأن الاتصال الذي جاءني اتصال عشوائي، وقد يكون من قام به أحد المستوطنين في المستوطنات المجاورة لغزّة كنوع من الاستفزاز، إلا أننا تركنا البيت احتياطاً، فلا مشكلة لدى الاحتلال أن ينسف بيتك بمن فيه ويخلق منه كومة من الركام، ربما تمكث أربعين عاماً وأنت تؤسس في بيتك حتى يكتمل، ليكون مكاناً آمناً لك ولأولادك وأحفادك، إلا أن الاحتلال في لحظة ينسف تعبك وكل ما أنجزت على مدار أربعين عاماً، ينسف حلمك ويتوقف كل شيء، وعليك أن تنهض من جديد.

يراودني دائماً سؤال: من سوف يروي قصصنا؟ من سوف يكتب ويوثق ليكشف عن الوجه البشع للاحتلال